

الصيام

- تهذيب للجسد والنفس-

كل الشعوب التي آمنت بأن لهذا الوجود موجد ينظمه ويشمله برعايته، إتخذت لنفسها شعائر دينية ومسالك عملانية إعتقاداً منها أنها تقربها من سيّد هذا الوجود وتخولها الحصول على رحمته ورضوانه. وإذا عدنا الى تراث أقدم الحضارات لوجدنا طقوساً للعبادة أبرزها الصيام وتقديم الأضاحي وإذا تفحصنا تلك الطقوس التي برزت منذ القدم السحيق لوجدنا أكثرها أقرب الى السحر والشعوذة منها الى العبادة الحقيقية. كونها غير مترابطة في نسق متكامل وغير مبررة في منطق العقل. حتى أتت الأديان السماوية التي نادى بالله واحداً واحداً موجوداً تحيط قدرته بكل هذا الكون. لا يخلو منه زمان ولا من نوره مكان. قريبٌ منا فما من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم، وبعيدٌ عنا لأنه منزلة عن صفاتنا وأسمائنا وطبيعتنا البشرية. عندئذ تبلورت مسالك العبادة بشكل منتظم متماسك وكأنه سلسلة كل حلقة فيها تقود الى الأخرى وتكون مقدمة لما بعدها ونتيجة لما قبلها. ونحن نعتقد بأن الإسلام الحنيف هو آخر الرسالات السماوية وأن محمداً هو آخر النبيين. ولذلك كان الإسلام هو زبدة وخلاصة جميع الأديان السماوية حيث تطورت مفاهيم التوحيد فيه حتى وصلت الى سدره منتهاها. فلم يعد هناك مجال لغموض المفاهيم أو للضياع في سراب التوهّمات. فالله في الإسلام بجميع مذاهبه موجود لا يخلو منه زمان أو مكان. لا يحجب نوره عنا إلا سوء أعمالنا ورداءة نوايانا، منزله ليس كمثله شيء لا يحل في جسد ولا يتخذ لذاته صاحبة أو ولد. ولا يقاس بمقاييس البشر أو يوصف بصفاتهم.

وشعائر العبادة أصبحت واضحة مبررة تستقيم لمنطق العقل ولا تتناقض في جوهرها مع آخر مستجدات العلم. ومن أهم تلك الشعائر الصيام في شهر رمضان المبارك. وهو الشهر الذي يحتوي على ليلة القدر، الليلة المقدسة التي أنزل فيها الوحي على النبي بواسطة جبريل الذي قال له إقرأ. وعندما قرأ محمد كرس محمد رسولا وخاتماً للأنبياء.

قال تعالى في كتابه الكريم: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم. وهذا يدل أن شعيرة الصيام فريضة في كل الأديان الإبراهيمية التوحيدية. وقال تعالى أيضاً: فمن شهد منكم الشهر فليصمه. وقال النبي الكريم: صوموا لرؤيته إفطروا لرؤيته وقال أيضاً: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. وقال أيضاً: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين. وهذه الأقوال تدل أن شهر رمضان شهر مبارك كفة ميزان الخير فيه راجحة على كفة ميزان الشر وأن الله يؤيد عباده الصالحين المؤمنين بنور يقذفه في صدورهم ليطردوا بذلك النور ظلمة الشياطين وأشباح الشهوات والرغبات المحرمة.

فالصوم يزيل الفضلات من الجسم ليحمله جميلاً معافى وهو يرقق القلوب القاسية ويشفف العقول الكثيفة. فالغني بالصوم يجد الجوع فيتذكر جوع الفقراء ومعاناتهم مع لقمة العيش فيسارع إلى مساعدتهم. والفقير يجد الجوع باباً إلى ترويض النفس على العفة والترفع عن الشهوات بالإنجذاب إلى المروءة والشهامة وعزة النفس.

قال الصحابي ابن مسعود: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه. ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

ولكن يخطيء من يظن أن الصوم هو الإمتناع عن المأكول والمشرب والنكاح فقط. فالصوم في كماله هو إمتناع كل جارحة من جوارح الجسد عن الحرام. فالعين يجب أن تمتنع عن رؤية المناظر الرديئة المغرية بالرذيلة، فلا يجوز للصائم أن يجلس أمام التلفاز ليؤى أفلاماً خلاقية ماجنة ثم يقول أنا صائم. أو أن يستمع إلى النكات الفاحشة والكلام الماجن ويقول أنا صائم. فلكل جارحة من جوارح الجسد صيامها الخاص بها وهو أن نستعملها لما وجدت لأجله أصلاً ولا نورد لها موارد الشطط.

وذروة كمال الصوم هو أن تصوم ألسنتنا عن الكذب وأفئدتنا عن الشرك وعقولنا عن الجهل. ورأس الكذب هو أن يدلّس العالم على الجاهل في شؤون دينه أو أن يغريه ببعض المحرمات مبوراً له أنها محلات أو يجره إلى طريق سوء.

ورأس الكذب أيضاً هو أن يستبد الحكام والمتنفذين والأقوياء والأغنياء بالمساكين والمستضعفين فيصادروا عقولهم وحررياتهم وحقهم بالعلم والعمل والتطور

والإرتقاء. فالصوم ليكون مكتملا يجب أن يقترن بالعدل والصدق والعطاء والسيره الحسنه. فلا يكفي للإنسان أن يمتنع عن المأكل والمشرب وهو يعتاش من مال الربى أو الزنى أو النياحة أو الإتجار بال ممنوعات المدمرة لأخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم. أو أن يخادع الناس في التجارة والسمسرة ثم يذهب الى الصلاة بعد الإفطار.